﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾

[مريم: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

إبـداءُ التّعجّب مِـن حالها بعد سماع البشارة العجيبة

بعد أن بيّنت الآيةُ السّابقة أنّ المَلَك قال لمريمَ عليها السلام: إنّه مرسَلٌ مِن ربّه إليها ليَهَبَ لها غلامًا زكيًّا، أثار ذلك عجبَها فبيّن في هذه الآية ما قالت له تعبيرًا عن ذلك التّعجّب، ووَقْع تلك البشارةِ عليها بقولها: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمۡسَسۡنِي﴾: (مسّ) أصلٌ يَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[2]، والمسّ يقال فيما يكون معه إدراكٌ بحاسّة اللّمس، وكنّي به عن النّكاح، فقيل: مسّها وماسّها، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237][3]، ويُقالُ: مَسِسْتُ الشّيءَ أَمَسُّه مَسًّا، لَمَسْتَه بيَدِكَ، ثُمَّ اسْتُعيرَ للأَخذ والضَّرْبِ لأنهما باليَدِ، واسْتُعيرَ للْجِماع لأنّه لَمسٌ، وللجُنون كأَنّ الجِنَّ مَسَّتْه؛ يُقالُ: به مَسٌّ مِنْ جُنونٍ، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ أي لَم يَمسَسْني على جِهَةِ تزوُّجٍ[4].

2) ﴿بَغِيّٗا﴾: (بغي) أصل هو جِنْسٌ مِنَ الفَسادِ، قَوْلُهُم: بَغَى الجُرْحُ: إذا تَرامَى إلى فسادٍ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْ هَذا ما بَعْدَهُ، فالبَغيُّ الفاجِرَةُ، تَقولُ: بَغَتْ تَبْغي بغاءً، وهيَ بَغيٌّ، ومِنْهُ أَنْ يَبْغيَ الإِنْسانُ على آخَرَ[5]، والبَغْيُ: طلبُ تجاوزِ الاقتصادِ فيما يُتَحَرّى، يقال:

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 42.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مسّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (مسس).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).

بَغَيْتُ الشَّيءَ: إذا طلبتُ أكثرَ ما يجب، بَغَى الجُرحُ: تجاوز الحَدّ في فساده، وبَغَتِ المرأةُ بغاءً: إذا فجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: 33]، وبَغَتِ السّماء: تجاوزت في المَطر حَدّ المحتاج إليه[1]، والمراد به في الآية الكريمة الزّانيَةُ المجاهِرَةُ بالزّنى، الطّالبةُ له[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

التّعجّب مِنَ البشارة بالغلام بغير أسباب البَشَر

يخبر النّظمُ الجليل في هذه الآية أنّ مريم ﵍ قالت لجبريل مجيبةً له بعدَ إخبارها برسالته، وبشارتها بالغلام الزّكيّ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ فمِن أيّ وجهٍ يكون لي ذلك الغلام؟ ولستُ بذاتِ زوجٍ أُرْزَقُ منه الغلام، كما أنّي لم أكن مِن أهل الفجور بحالٍ مِنَ الأحوال، فلم يمسسني بشرٌ لا بالحلال ولا بالحرام[3]، أي: "تعجّبتْ مِن هذا، وقالت: كيف يكون لي غلامٌ، على أيّ صفةٍ يوجد منّي، ولستُ بذات زوجٍ ولا يتصوّر منّي الفجور"[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبلاغيُّ:

دلالة فصْل هذه الآية عمّا قبلَها:

اتّصال الكلامِ بين المُتحاوِرَين يُغْني عن حرف العطف

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ لأنّها جاءت مستأنفةً واقعةً في المحاورة، فارتباطُ الكلام بينَ المُتحاورَين يُغْني عن حرف العطف، والغرضُ مِن هذا الاستئنافِ صرفُ المَلَكِ عن غايته التي جاء مِن أجلها؛ لأنّها لمّا علمت أنّه مرسلٌ مِنَ الله تعالى أرادت مراجعةَ ربّها في أمرٍ لم تُطِقْه، كمراجعة إبراهيمَ ﵇ في قوم لوطٍ، فإنّ ذلك يَجُرُّ

(1) الرّاغب، المفردات: (بغي).
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 9.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 165.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 89.

لها ضُرًّا عظيمًا؛ إذ كيف سيتلقّى النّاسُ إتيانها بولدٍ من غير أبٍ معروف[1]، وممّا يُذْكَر في سِرّ الفصل: أنّ هذه الجملةَ جاءت جوابًا لسؤالٍ أثارتْهُ الآيةُ السّابقة عندما قال لها المَلَكُ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾؛ فكأنّه قيل: (ماذا كان منها جوابًا على قول المَلَك لها).

دلالةُ الاستفهام في: ﴿أَنَّىٰ﴾:

التّعجُّبُ مِن هول الأمر، لا مِن قُدْرَة الله تعالى

استعمل النّظمُ الجليل اسمَ الاستفهام ﴿أَنَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ للدّلالة على التّعجُّب والاستغراب، لتأثُّرِها بنظام الأسباب السّائد في الواقع والعرف لإنجاب الولد؛ فقالت: مِن أين وكيف ذلك[2]؟ وذلك تعبيرًا عن حيرتها وتعجُّبِها ممّا سمعت، أي: كيف يكون لي غلامٌ، والحال أنّي لم يمسني بشرٌ، ولم أكُ في يومٍ مِنَ الأيّام بَغيًّا[3]، وممّا يُذْكَر في سِرّ الاستفهام بـ ﴿أَنَّىٰ﴾: أنّه على وجه الحقيقة والاستفسار؛ أيكونُ ذلك الغلامُ بالتّزويج أو بغيره؟.

دلالة التّعبيرِ بفعل الكَيْنونة ﴿يَكُونُ﴾:

الدّلالة على تَعَلّق البشارةِ بالحال والاستقبال

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الكون بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾؛ لأنّه سيقع في الحاضر وقتَ مخاطبةِ المَلَك لها، وفي المستقبل باعتبار كونه غلامًا، فالإخبار عن ذلك بالمضارع تعبيرٌ عنِ الواقع.

سرُّ تقديم الجارّ والمجرور ﴿لِي﴾:

حالها مِنَ الطّهر والعفاف يجعلها تستبعد وقوعَ ذلك

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة مِنَ الجارّ والمجرور ﴿لِي﴾ على المسند إليه ﴿غُلَامٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾؛ للاعتناء بالمُقدَّم، ولأنّ موضع التّعجُّبِ أن يكون لها هي ذلك الغلامُ، نظرًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 81 - 82.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 185.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 25.

لحالها مِنَ البكارة والعفاف، وامتناعها مِنَ البشر، وليس التّعجّب مِن قُدرة الله تعالى على إيجاده؛ لعلمها بقُدْرته، بل تعجّبت أن يكون ذلك الغلامُ لها نظرًا لحالها.

سِرُّ تكرارِ لفظ ﴿غُلَٰمٌ﴾:

إعـادةُ المُبَشَّر به بلفظه يُؤكِّد وقـوعَ التّعجُّب من شأنه

ذكر النّظمُ الجليل أنّ مريم ﷺ كرّرت ذِكْر الغلام في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؛ وذلك إحالةً على ما جاء في البشارة، أي: الغلام الذي وصفته[1]، فأعادت اللّفظ نفسَه، لأنّ وقْعَ الخبرِ صرفَها عن كلّ شيءٍ إلّا إظهارَ التّعجّبِ ممّا قال لها، فأعادت اللّفظ الذي سمعته، كما أنّ فيه دلالةً على أنّ المقصود التّعجُّبُ مِنَ القول ذاته، فأعادته بلفظه.

دلالة الواو في: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾:

أسبابُ الإنجاب غير موجودة

صدّر النّظمُ الجليلُ الجملةَ بحرف الواوِ الدّالِّ على الحاليّة في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: كيف يكون ذلك والحالُ أنّه لم يباشرْني بالحلال رجلٌ[2]، وهذا الحال مفصِحٌ عن عِلّة تعجُّبِها مِنَ البشارة؛ لأنّها تعلم أنّ الله تعالى على كلّ شيءٍ قدير، ولكنّ مثارَ التّعجّبِ لديها هو حالها.

سِرُّ اختيار (المس) في: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾:

دلالـةُ المَسّ على العلاقة الزّوجيّة أبلغُ مِنَ اللّمس

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بـ (المسّ) دون (اللّمس) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ لأنّ المَسّ أبلغُ وأدَلُّ في التّعبير عنِ المراد مِنَ اللّمس، فالمَسُّ كنايةٌ عنِ اختلاط الرّجل بالمرأة، وهذا ظاهرٌ في تعبيرات القرآن الكريم عنِ اتّصال الرّجل بالمرأة، وسمّاه مسيسًا مِن باب الحقيقة العرفيّة في لغة القرآن الكريم، والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله: ﴿وَإِن

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 260.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 396.

طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: 49]؛ لذلك كان التّعبير بالمَسّ؛ لأنّها أرادت معنى الجماع بالحلال دون الحرام؛ لأنّ الجماع بالحرام يُسَمّى فجورًا، وإنّما يدلّ على ذلك لفظُ المَسّ دون اللّمس، وذهب بعضُ أئمّة التّفسير إلى أنّه يشمل الحلالَ والحرامَ، أي: في حالة الزّواج أو في غير الزّواج، أي: ولم يمسسني بشرٌ ما، لا بنكاحٍ ولا بزنى[1]، كما أنّ فيه مبالغةً في نفي عدم اتّصالها بأيّ بشر، لأنّ المَسّ يدلّ على جَسّ البشرة، بخلاف اللّمس، فأصلُه باليد ليُعْرَف مَسّ الشّيء، قال تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: 7]، وهذا غير مرادٍ هنا، ولأنّ نفيَ المَسّ أبلغُ مِن نفي اللّمس.

بلاغةُ الكناية في الآية:

مِن حُسنِ لغة القرآن حُسْنُ الأدب في التّعبير عن ما يَخْدِش الحياءَ

كنّى النّظمُ الجليل بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ عنِ المباشرة بالحلال، كما في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237، الأحزاب: 49]، ونحوه كما قيل: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النّساء: 23]، وبنى عليها[2]، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ القرآن الكريم يُؤْثِر التّعبير بلفظ المَسّ على سبيل الكناية، وهذا تعليمٌ قرآنيٌّ ينبغي الاقتداءُ به في كلّ ما يَخْدِش الحياءَ؛ لأنّ أسلوب القرآن يحمل هذه الخاصّيّة في تصوير المعاني بالهيئة النّابضة لها دونَ خَدْشٍ لحياءِ القارئ أو السّامع، ولأنّ التّعبير بالكناية هنا يدُلّ على إظهار كمال عفّتها وبراءَتِها.

وممّا يدلّ على أنّ المراد بالكناية هنا المباشرةُ بالحلال قولُه بعد ذلك: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، فلمّا نفت بهذه العبارة كونها ليست بغيًّا، تبيّن أنّ المقصود بقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ المباشرة بالحلال.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 25.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 396.

سِرُّ التّعبيرِ بـ: ﴿بَشَرٌ﴾:

المَسّ إنّما يكون بملامسة البَشَرة، والبَشَر أنسبُ لذِكْر المَسّ

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ البَشَر في جملة: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ دون غيره؛ لمناسبة لفظِ البَشَر للمَسّ؛ فلمّا ذُكِرتِ المَسّ – والمَسُّ إنّما يكون بمباشرة البَشَرة – ناسبَ ذلك أن تأتيَ بلفظ البَشَر لما فيه مِن دلالة على البَشَرة، فكان إيثارُ لفظِ البَشَر أنسبَ للسّياق، ولأنّ لفظ البَشَر أعمُّ؛ فلو قالت مثلًا: (ولم يمسسني رجلٌ) لكان ذلك مقصورًا على مرحلةٍ في حياة الإنسان، وهي مرحلة الرّجولة والبلوغ، لكنّها نفتِ المَسّ مِن أصله، ولأنّ لفظ ﴿بَشَرٌ﴾ بمنزلة المصدر، ومعلومٌ أنّ المَصدر يستوي فيه المُذَكّر والمُؤنّث، والمُفْرد والمُثَنّى والجمع؛ لذلك كان التّعبيرُ به أبلغَ في نفي الاتّصال بالرّجال مطلقًا، بزواجٍ أو بغيره.

دلالةُ التّنكير في: ﴿بَشَرٌ﴾:

كمالُ عفّتِها ونزاهتِها عن كلّ سوء

آثَرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ البشر بصيغة التّنكير في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؛ لما في التّنكير مِن دلالةٍ على التّعميم، ومجيئُه في سياق النّفي لزيادة التّعميم وتأكيده، أي: لم يمسسني بشرٌ مطلقًا، سواءٌ أكان زوجًا أم غيرَ زوجٍ[1]، وهذا هو المناسب لسياق براءتها مِن كلّ سوء.

دلالة الواو في: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾:

انتفاء كلّ أسباب الحمل

عطف النّظمُ الجليل قولَه تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ على قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾؛ للدّلالة على أنّه داخلٌ مِن ضمن الحال التي تعجّبت بسببه، مِن أن تحمل بغلام بلا أب، كما أنّه يُفصِح عن كون المُراد بالمَساس المباشرةَ بالنّكاح، أي: كما أنّي لم يباشرني زوجٌ، لم أكن فاجرةً تبغي الرّجالَ بالحرام[2].

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 25.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 260.

سِرُّ التّعبير بنفي فعلِ الكينونة:

نفيُ الوجودِ أبلغُ في نفي الصّفة

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن النّفي بأسلوب نفي فعل الكون بـ ﴿وَلَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ للدّلالة على تأكيد النّفي، ففِعْلُ الكونِ يدُلّ على تمكّن الوصفِ في الموصوف، فلمّا جاء في سياق النّفي دَلّ على تأكيد انتفاء الصّفة، والمراد بذلك تأكيدُ تبرئَةِ نفسِها مِنَ البِغاء[1].

سِرُّ التّعبير بـ ﴿أَكُ﴾:

مقامُ الخوفِ والهَلَع، مقامُ إيجاز

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بفِعْل الكونِ محذوفِ النّون في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ لكونه أنسبَ لمقام التّعجُّبِ والتّهويلِ، فلمّا "هالَها هذا الأمر، أدّاها الحالُ إلى غاية الإسراع في إلقاء ما تريد مِنَ المعاني لها، لعلّها تستريح ممّا تصوّرتْهُ، فضاق عليها المقامُ، فأوجزت بحذف النّون مِن (كان)"[2].

وممّا يُذْكَر في سِرّ حَذْف النّون أنّ القاعدة العربيّة المعروفة في أنّ زيادة المَبنى تدُلُّ على زيادة المعنى، وبمفهوم المخالفة: قِلّةُ المبنى تدُلّ على خفاء المعنى وعدمِ ثُبوته، وهذا ما أرادته السيّدةُ مريم عليها السلام في نفي صفة البِغاءِ عن نفسها، حيثُ ذكرت الفعلَ منقوصًا مِن غير اكتماله، إشارةً إلى أنّه لا ينبغي اكتمالُ صفةِ البغي فيها، فضلًا عن وجودها.

سِرّ التّعبير بـ: ﴿بَغِيًّا﴾:

انتفاءُ أسبابِ الحَمل بطريق الحلال والحرام

عبّر القرآن الكريم بقوله - حكاية عن قول مريم عليها السلام -: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ دون: (ولم أكُ بَغِيَّةً)؛ لأنّه مصروف عن وجهه، فهو فعيل بمعنى فاعل، ولأنّ (بَغِيّ) وصفٌ يغلب على النّساء؛ فقلّما تقول العرب: (رجلٌ بَغِيٌّ)؛ لذلك كان التّعبير بقوله: ﴿بَغِيًّا﴾؛ لأنّه يجري مجرى (حائض) و(عاقر)[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 82.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 185.
(3) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 17/ 353.

آثَرَ النّظمُ الكريم نفيَ صفةِ البِغاء في قوله تعالى - حكايةً عن قول مريم عليها السلام -: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ لأنّها لمّا نفت عن نفسها أسبابَ الحمل مِن طريق المُجاهَرة بالنّكاح الحلال، وهو الزّواج، بقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، أتبعتْهُ بنفي أسبابِه مِن طريق المُجاهرة بالزّنى، بمعنى: أنّي لا يُعْرَف عنّي زواجٌ ولا يُعْرَف عنّي الفجورُ، فكيف سيُنسَبُ لي غلامٌ بلا أبٍ؟.

سِرُّ عدمِ التّعبير بالكناية في البَغيّ:

الفجورُ لا تليق به الكناية

عبّر القرآنُ الكريم بلفظ (المس) على سبيل الكناية في قوله - حكايةً عن قول مريم عليها السلام -: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ دون التّصريح، ولم يأتِ التّعبير بالكناية في أمر البَغيّ؛ لأنّه فجورٌ لا يليق به أمر الكناية، وللتّفريق بين العلاقات الشّرعيّة التي شَرعَها اللّهُ تعالى للإنجاب (الزّواج)، والعلاقات غير الشّرعيَّة.

المُتشابِهُ اللّفظيُّ:

تشابهت هذه الآيةُ: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، مع قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47].

والنّاظر في الآيتين يجد اتفاقًا واختلافًا بينَهما في السّياق العامّ، لكن بالنّظر والتّدقيق يجد أنّ موضعَ سورةِ مريم خلا مِن لفظ الرّبوبيّة؛ بخلاف موضع آل عمران، فخاطبت ربّها بقولها: ﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ [آل عمران: 47] ولم تخاطبِ الملائكةَ، مع أنّ الذي نقل لها البشارةَ هم الملائكة، وذلك مِن باب التّضرّع إلى الله ﷻ مباشرةً دون واسطة؛ لأنّ البشارة منه أصلًا؛ لذلك كان اللّجوء إليه مباشرةً هو أقصرَ الطّرق الموصلة دونَ وسائط.

أمّا موضعُ سورةِ مريمَ فالهبة فيه مُسنَدةٌ إلى جبريلَ عليه السلام - كما عبر عن ذلك النَّظم القراني -: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ لذلك وجّهتِ

الكلامَ إليه، ولم تبدأ بنداء ربّها كما في سورة آل عمران؛ لأنّ الهبة مسنَدةٌ إلى جبريلَ، والسّياق فيه ريبةٌ مِن أمره؛ لأنّها غيرُ مُتأكّدة بأنّه مِنَ الملائكة.

ومِن مواطن التّشابه فيهما التّعبيرُ بلفظ ﴿غُلَٰمًا﴾ في سورة مريم، و﴿وَلَدٌ﴾ في سورة آل عمران [47]، وسببُ التّنوّع أنّ موضع سورة آل عمران تقدّم فيه ذِكْر المسيح باسمه وكُنيته، قال تعالى: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 45]؛ لذلك جاء التّعبيرُ بلفظ ﴿وَلَدٌ﴾ [آل عمران: 47]؛ أمّا سورةُ مريمَ فلم يتقدّم فيها ذلك، وإنّما الذي تقدّمَ التّعبيرُ بالغلام في قوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾، فأعادتِ السّؤال باللّفظ نفسِه الذي بُشِّرت به متوافقًا مع ما جاء على لسان جبريل.

وأيضًا: لأنّ سورة آل عمران سياقُها مختلِف؛ حيثُ نزلت الآياتُ الأوَلُ فيها رَدًّا على وفد نصارى نجران في ادّعائهم بُنوّة عيسى عليه السلام لله ربّ العالمين، تعالى اللّهُ عمّا يقولون.

وممّا يُؤكّد هذا المعنى أنّ مطلعَ سورةِ آلِ عمران ورد فيه قولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 6]، والتّصوير في الأرحام يتناسب معه التّعبير بالولد.

ومِنَ المتشابه أيضًا ذِكْر قولِه تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ في سورة مريم دونَ سورة آل عمران، فلم تَرِد فيها هذه الجملة، وذلك لأن سورة آل عمران ذَكَرت طهارةَ مريمَ عليها السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: 42]، فدلّ ذلك على طهارتها وعِفّتها، أمّا سورة مريم فأرادت أن تُؤكّد على عِفّتها وطهارتها؛ لأنّ الذي بَشَّرَها مَلَكٌ في صورة رجل سَويّ الخِلْقة؛ لذلك خاطبته بهذه الجملة تحذيرًا له إن كان يريد بها سوءًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المَسُّ واللَّمسُ:

لَمَسَ: يَدُلُّ على تَطَلُّبِ شَيْءٍ ومَسيسِه أَيْضًا، تَقولُ: تَلَمَّسْتُ الشَّيْءَ، إذا تَطَلَّبْتَهُ بيَدِكَ، واللَّمسُ أَصْلُهُ باليَدِ، ليُعْرَفَ مَسُّ الشَّيْءِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صارَ كُلُّ طالِبٍ مُلْتَمِسًا[1]، واللَّمسُ: إدراكٌ بظاهر البَشَرة، كالمَسّ، ويُعبّر به عنِ الطّلب، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لمس).

اللّـمـسُ طلبُ الـشّيء باليـد، والمَسّ جَسُّه بها

﴿ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨﴾ [الجن: 8]، ويكنّى به وبالملامَسَةِ عن الجماع[1]، أمّا المسّ فيَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[2]، ويُستعمل بمعنى إصابةِ الشَّيءِ وحُلولِهِ، فمِنهُ مَسُّ الشَّيطانِ، أي: حُلولُ ضُرِّ الجِنَّةِ بالعَقْلِ، ومَسُّ سَقَرٍ: ما يُصيبُ مِنْ نارِها، ومَسَّهُ الفَقْرُ والضُّرُّ: إذا حَلَّ به، وأَكثَرُ ما يُطلَقُ في إصابَةِ الشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا﴾ [الزمر: 8][3]، فاللّمس أبلغ في التّعبير عن تلاقي البشرتين من المسّ لأنّه يدلّ على طلب الشّيء وتلمسّه باليد ومسّه، ولذلك استُعمِل المَسّ لما كان خفيفًا، كما عبر البيان الإلهي: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ [الأنبياء: 83] مِنَ الأدب الرّفيع؛ إذ جعل أيّوبُ ما حَلَّ به مِنَ الضُّرِّ كالمَسِّ الخفيفِ[4]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: 201]، فآثَرَ في الآية الكريمة التّعبيرَ بالمَسّ للمبالغة في نفي ملامستها أيّ بَشَرٍ.

(1) الرّاغب، المفردات: (لمس).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مس).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 126.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»